توقعات الطلبة من المدرسة والمنهاج من وجهة نظر المعلمين

تغريد باجس عابد

تختلف الآراء وتتعدد وجهات النظر التي تتعلق بالأسباب التي تدفع الأهل لإلحاق أبنائهم بالمدرسة، وكذلك الحال بالنسبة لآراء المعلمين والطلبة أنفسهم. فالبعض منهم يطمح للحصول على درجات عليا، والبعض الآخر يجد نفسه مكرهاً من الأهل كون المدرسة أصبحت عرفاً تقليدياً في المجتمع، والفئة القليلة تعتقد أن المدرسة هي الملتقى الذي يتمركز به وحوله الأصدقاء أو الرفاق. ومهما تعددت الأسباب، يبقى السؤال المطروح: لماذا يأتي الطلبة إلى المدرسة؟

ومن أجل الوقوف على هذه المسالة المهمة في حياة كل فرد، حاولنا استقصاء ذلك عبر آراء بعض المعلمين فيما يتعلق بأهمية المدرسة لدى الطلبة. وقد تم ذلك عبر المقابلة الشخصية، والحوار المباشر، وذلك بهدف تقييم العملية التعليمية، وبخاصة في هذه المرحلة التي يتم فيها تغيير المناهج، لعل ذلك يساهم في تسليط الضوء على حاجات المتعلم، وعلى مراعاتها أثناء تحديث المناهج.

ومن المتوقع أن تزودنا هذه الدراسة القصيرة بصدق آراء المعلمين وثباتها نحو الموضوع. كما تتميز هذه الدراسة بأنها استكشافية تهدف لجمع المعلومات وتحليلها واستخلاص النتائج في آن واحد. كما أنها دراسة غير رسميهinformal، كونها اقتصرت على عدد قليل جداً من المعلمات (ست معلمات).

لقد اتخذت المقابلة طابعstructured questions، ولكنها استهلت بسؤال عام وunstructured، وتميزت بمرونة الحوار والأسئلة المفتوحة التي أتاحت للمعلمين الفرصة للإجابة الحرة والصريحة، حيث اقتصر دوري على طرح الأسئلة ومداخلات هدفت لتسيير النقاش للحصول على إجابات صادقه وحقيقية. هذا وقد جمعت الأسئلة بين النوعين: الحقيقية العامة، واستعراض الآراء الفردية؛ أيfactual and specific, and opinion questions.

وبناءً على هذه المقدمة البسيطة، استعرضُ الأسئلة العامة التي طرحت على العينة. وهي كالتالي:

- لماذا يأتي الطلبة إلى المدرسة؟
- ما الهدف الأساسي من التعلم؟ هل هو حفظ الدروس أم تحقيق أهداف أخرى كالوعي الديني، أم الاعتناء بالصحة، أم الالتزام بالسلوكيات المقبولة في المجتمع، أم التحلي بالأدب والتعاون مع الآخرين واحترام آرائهم ... الخ؟
- ما التغيرات المتوقعة والمرجوة بخصوص الطلاب خلال العام الدراسي؟
- هل المناهج تساعد في تحقيق تغير إيجابي على الطلاب؟ مع الاستشهاد بالأمثلة.
- ماذا بخصوص الطلبة أصحاب المشاكل أو «المشاكسين» كما ينعتهم المجتمع؟

ومن الجدير بالذكر أنني أعمل مدرسة للغة الإنجليزية للصف الثاني عشر بفرعية العلمي والأدبي في المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم منذ ما يقارب العشرين عاماً، ومدرسة لمساقي التربية النظرية والعملية في جامعة بيرزيت، وقد كنت وما زلت أعمل دوماً وأنا آملة في رفع مستوى طلابي قدر الإمكان، كي نعمل معاً على تقدم وطننا ورقيه ... وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة؛ لأنها تطلعنا على حقيقية ودوافع حضور الطلبة إلى المدرسة، وبخاصة أن الطلبة هم محور العملية التعليمية التي يديرها المعلمون.

والآن بعد تحديد الأهداف العامة وترجمتها إلى أسئلة البحث، تم اختيار أسلوب المقابلة كأداة، وذلك بناءً على الأهداف المحددة، وطبيعة الموضوع الذي يتطلب حقائق وآراء، وليس فقط اختيار من متعدد. هذا بالإضافة إلى نوعية العلاقة التي تربطني بالمبحوثين، ألا وهي اشتراكنا في المهنة ذاتها والاهتمام نفسه. لذلك، اعتمد نمط الإجابات على طبيعة الأسئلة التي حددت مسبقاً.

ومن جهة أخرى، لقد قمت بتوقع الإجابات قبل بدء المقابلة، وصنفتها إلى فئات لتساعدني في عملية التحليل. وقبل البدء بالمقابلة، أطلعت المبحوثين على بعض التعليمات: هدف المقابلة، وطريقة جمع المعلومات، وعلى حرية الإجابة دون التحيز من طرفي.

ومن الجدير بالذكر أن المعلمات شعرن بارتياح كوني إحدى زميلاتهن، وكون الهدف الأساسي لجمع المعلومات هو لغايات البحث فقط. وأود أن أنوه إلى قضية مهمة، ألا وهي أن المقابلة اتسمت بالفردية من جهة، وبمقابلة البعض بمجموعات من جهة أخرى، دون تأثير إحداهن على الأخرى، إلا بالإجماع أو الرفض مثلاً. وأدلت كلن منهن بآرائها الشخصية، متأثرة بخبراتها كمدرسة. وأود أن أنوه، كذلك، أنني قمت بتلخيص نتائج الدراسة بشكل مبسط دون إثقال المقالة بالأرقام والمعطيات الإحصائية.

لذلك، فمن الأهمية بمكان، أن نتطرق لبعض التعريفات المهمة لعملية التعليم والتربية بشكل عام.

فمن المتعارف عليه أن المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تحتضن الفرد وينمو بها ويستمد معارفه وخبراته من خلال طاقمها، وبالتالي تعمل المدرسة على تطوير الفرد من النواحي الشخصية والنفسية والاجتماعية والثقافية كافة، لتنتج منه إنساناً فاعلاً في مجتمعه. فما المقصود بعملية التعلم؟

يعتبر موضوع التعلم محور الاهتمام الرئيسي في العملية التعليمية. وعملية التعلم تمتد وتشمل حياة الفرد بشكل واسع، وتعمل على تعديل أو تغيير سلوكه. وتخضع عملية التعلم لمجموعة من الشروط والعوامل، بعضها يتعلق بالنواحي العقلية والنفسية للمتعلم، والبعض الآخر يتعلق بالعوامل الخارجية التي تؤثر في الموقف التعليمي كالمعلم، والأصدقاء، والمادة التعليمية ... الخ. كما تخضع عملية التعلم لشروط الكينونة الإنسانية كالدافعية والنضج والتعزيز. ومن البديهي أن الهدف الرئيسي من التربية هو تنمية الفرد وتحقيق ذاته ورفع مستواه التعليمي والثقافي والاجتماعي. وتتميز التربية بنقل التراث الاجتماعي إلى الأجيال القادمة، كما تعمل على إصلاح المجتمع من خلال تطور الفرد عقلياً، وخلقياً، وجمالياً، واقتصادياً، وثقافياً، ونفسياً. ولا يمكن أن تخلو أهداف التربية من دوافع عملية ونفعية لتحقيق المكانة وإيجاد عمل، لأنه لا يمكن أن ينتظم مجتمع ما، إلا إذا قام كل فرد من أفراده بعمل كل بحسب إعداده. وعلى المدرسة أن تهيئ الفرد وتعده للمهنة التي سيضطلع بها، وعلى قدر صلاحية الفرد لمهنته ترقى المهنة ويكثر إنتاجها، وبالتالي يرقى المجتمع؛ لأن الفرد هو جزء من ذلك المجتمع (عبد العزيز، 1961: 218).

ومن هنا، فإن التربية عملية إنتاجية تنتج الفرد وتعمل على تطويره من النواحي كافة. والتربية ليست فقط مهمة المدرس والمدرسة، وإنما هي عملية تكاملية تقوم بها كل المؤسسات العامة والخاصة كالبيت والأسرة والمجتمع، والمؤسسات الدينية والإعلامية والثقافية.

وبعد إبراز أهمية المدرسة، استعرض آراء العينة ووجهات نظرهم، بخصوص السؤال الأهم:

«لماذا يأتي الطلبة إلى المدرسة؟

لقد أجمعت الأغلبية أن الأسباب التالية كانت الأهداف الأساسية لالتزام الطلبة بالمدرسة، وهي: رفع المستوى الثقافي واكتساب المعلومات، وتوسيع مدركات الطلبة عن طريق تنمية القدرات الذهنية، واكتساب المهارات المختلفة، وأسس التربية السليمة، والتحلي بالقيم الأدبية، والأخلاقية، والانتماء للوطن، وتعلم العادات الصحيحة؛ كالتعاون، والانضباط، والنظام. كما تشمل الأهداف تحسين المستوى الاجتماعي الذي يتأتى بالحصول على الشهادة وتبوُّء المراكز العليا في المجتمع. أما النسبة القليلة من الطلبة، فيأتون للمدرسة مكرهين، كونهم لا يحبون الدراسة، والالتزام بالدوام المدرسي، ويرون أن المدرسة تعد استثماراً للمجتمع؛ كالمصانع، والشركات التي تنتج السلع والبضائع، كونها تنتج الفرد الذي يستكمل تعليمه الجامعي، ويعمل حسب مؤهله لخدمة الشعب والوطن كل في موقعه، فمثلاً الموظف في مصنع أو المهني يساهم في إنتاج البضائع التي تدر الأموال اللازمة للاستثمار، أو المعلم مثلاً الذي يعمل خارج البلاد، ويستثمر أمواله لبناء المصانع، أو المؤسسات التي تهدف لتطوير البلد، بالإضافة إلى الفوائد المالية للشخص نفسه. أما إحدى المعلمات، فنوهت إلى أن الطلبة يأتون للمدرسة فقط للتغير والالتقاء مع الأصدقاء وقضاء الوقت. أما بالنسبة للطلبة المجتهدين، وهم قلة بدون شك، فيأتون ليتعلموا ويتعلموا فقط، ولا شيء غير ذلك، وأكبر دليل على ذلك هو التزامهم بالدوام الرسمي، والقيام بالواجبات الموكلة إليهم، والمثابرة والاجتهاد، ومن وجهة نظرهم، فإن المدرسة هي الوسيلة الرسمية للحصول على السلاح الأهم في الحياة ألا وهو الشهادة. وعندما سألتها عن تفسيرها للعدد الكبير للخريجين، أردفت أنه للحصول على الشهادة كوسيلة لإيجاد عمل، والحصول على المال. وأكدت أن هذا ما تعتقده.

أما أثناء مناقشة السؤال عن الهدف الأساسي للمدرسة، فكانت الإجابة كالتالي: تعريف الطالب على البيئة بشكل واسع، وتنمية السلوكيات الإيجابية وتقوية الشعور بالانتماء الوطني والديني من خلال دروس التربية الدينية، وكذلك تعزيز العلاقات الاجتماعية وتنمية الشعور بالانتماء الوطني من خلال الإذاعة الصباحية والكلمات الوطنية في المناسبات الكثيرة. والهدف الأهم برأيهم هو رفع المستوى الثقافي وجمع المعلومات المتعلقة بالمواد الدراسية المختلفة، كل حسب مستواه، وكذلك تنمية المهارات المختلفة عن طريق حصص التربية المهنية والصناعية والتجارية، حيث تؤهلهم لاختيار المهنة حسب أهوائهم وتطلعاتهم وهنا أقحمت سؤالاً عما إذا كانت هنالك فروق متميزة بين خريجي المدارس وبين أولئك الذين تسربوا؟ فكانت الإجابة بالإجماع على أن هنالك فروقاً بالثقافة والسلوك والقيم الاجتماعية والخلقية، حتى على صعيد العمل، فإنهم يشغلون مراكز وظيفية رفيعة المستوى. كما أبدت معلمة التفاؤل أيضاً بأن التغير يكون للأفضل، آملة بتحديد معالم تكوين دولة فلسطينية، وأن تتحسن السياسة الخارجية، ما ينعكس بدوره على جو الطالب النفسي من خلال دراسته وتركيزه أثناء الدوام المدرسي، وعلى الإجابة على السؤال نفسه. وانفردت معلمة بقولها «إن التغير خلال العام يمكن أن يكون بالاتجاه المعاكس، حيث يتجه سلوك الطلبة نحو العنف، وذلك على غرار ما يواجهونه من عنف من قبل الاحتلال، ما يؤدي إلى العنف داخل المدرسة، وإلى إرباك العملية التربوية.

في الواقع، إن الانتفاضة كان لها الدور الأكبر برص صفوف القوى الوطنية واتفاقهم معاً ضد العدو، وربما يعزى سبب العنف لأسباب عائلية أو مشاكل اجتماعية أخرى. ومن جهة أخرى، قد يكون لأعمال العنف الإسرائيلية وسياسة إغلاق المناطق أثر كبير على حياة الطلبة اليومية وسلوكهم في البيت والمدرسة، حيث أصبح الجو مشوباً بالتوتر والحزن والضجر والغضب والمشاجرات، ما أدى بالتالي إلى تدني دافعيتهم نحو التعليم.

اللجان الطلابية ودورها في تفعيل علاقة الطلاب والمعلمين وتعزيزها

أما فيما يتعلق بالسؤال الثالث، فقد كانت الردود متفاوتة، حيث اعتقد البعض أن المناهج الفلسطينية الجديدة تتيح فعلاً تحقيق ما ذكر سابقاً، وخصصن بالذكر بعض المناهج التي تعلم مهارات حياتية، وبخاصة إذا ارتبطت بالبيئة المحلية كالرياضيات، والثقافة الأدبية، والتربية المهنية التي تعد الإناث لمزاولة الحياة الأسرية مستقبلاً، وتعلمهن فن الطهي وتدبير المنزل. وأكدن على أنه يمكن للطلبة التأثر بالمعلمين وسلوكياتهم إذا نشأ هناك نوع من الرابطة؛ إما عن طريق التدريس داخل الغرفة الصفية، وإما عن طريق النشاطات الاجتماعية المختلفة. وهنا كمعلمة أؤكد على دور اللجان المدرسية المختلفة كاللجنة الاجتماعية، والثقافية، والصحية، ... الخ، كونها تهدف إلى توطيد العلاقات الداخلية بين الطلبة أنفسهم، وبين المعلمين والطلبة معاً، وذلك بإشراك الطلبة بهذه اللجان وتدريبهم على التعاون وعمل الخير وحب الآخرين وتكوين الأصدقاء عن طريق الرحلات والمعارض الفنية والعلمية، ومن جهة أخرى، تدربهم على الالتزام بالمواعيد واحترام آراء الآخرين، وهذه القيم لا تتوفر في المنهاج نفسه، وإنما يدركها الطالب من خلال المعلم وسلوكه وحثه التلاميذ على التحلي بهذه الأخلاقيات. ومن جهة أخرى، نوهت معلمة للدور البسيط للمنهج في تربية الطالب؛ كونه يركز أكثر على إكساب الفرد المعلومات، وذكرت أن الدور الرئيسي يعتمد على المدرسة والمعلم. وأشارت أخرى إلى أن المناهج لا تحقق الأهداف التي يرجوها الطالب؛ لأن ارتباطها بالواقع الذي يعيش فيه ضعيف جداً على حد قولها، وذكرت أن الطالبات يستفدن من التدبير المنزلي كونه أكثر ارتباطاً بالواقع، بالإضافة إلى المواد التي تدرس في المدارس الصناعية أو المهنية.

ومن جهته، فقد حظي السؤال الأخير على إجماع المعلمات على أن الهدف الرئيسي من دوام الطلبة أصحاب المشاكل في المدرسة يعزى «لمضيعة الوقت» بهدف التسلية. وأكدت إحداهن أن الطلبة يقدمون للمدرسة هرباً من مشاكل البيت والعائلة، وبهدف التغير والالتقاء بأصحاب المشاكل شاكلتهم، كونهم يأتون للمدرسة مكرهين، سواء من الأهل أم من المرشدين التربويين لإكمال التعليم الأساسي على الأقل، ثم يكملون مسيرتهم للالتقاء بأصحاب السوء في تجمعات أخرى كالنوادي مثلاً التي تفتح أبوابها بعد انتهاء الدوام المدرسي.

وتعتقد المعلمات أن هذا يشكل خطراً بحد ذاته على المدرسة إذا لم تتم متابعة هؤلاء الطلبة. وأوصت إحداهن بإعداد دراسة خاصة لمعالجتهم بإشراف المرشدين الاجتماعيين والتربويين من المدرسة، وذكرت انه إذا كانت المشاكل مقترنة بالمدرسين والإدارة، فذلك يؤدي إلى تسرب الطلبة من المدرسة.

وكمعلمة، اعتقد أن كلتا الحالتين بحاجة إلى دراسة واهتمام خاص ومراعاة الطالب؛ كوننا نعي جميعاً الفروق الفردية، واختلاف النواحي العقلية والجسمية والنفسية والمزاجية للأفراد. وقد نادى أفلاطون مسبقاً في جمهوريته بالفروق الفردية، وكان يعتقد أنه لا يوجد متماثلان في طبيعتهما، وأن قدرات الأفراد متباينة. فالبعض يصلح لعمل غير الذي يصلح له البعض الآخر (عبد العزيز، عبد المجيد، 1961: 132).

وأخيراً بما أن الهدف الأساسي من التربية هو تنشئة فرد قادر على الفعل في بيئته ومجتمعه، وكذلك مدرك لقدراته ومحدد لرغباته وقادر على تحقيقها، انطلق العلماء بالبحث في المناهج والمواد التي تدرس بها، حيث يراعي مصممو المناهج الناحيتين العملية والثقافية. وبما أن الحياة عملية، فعلى التربية أن تكون «مهنية» في توجهاتها، ولكنها في الوقت نفسه يجب أن تكون ثقافية، وذلك لأن حياة الفرد يجب أن تكون مستنيرة وواعية. وبناء عليه، فقد بدأ التركيز على الفروع الاختيارية كالعلمي والأدبي، وعلى التربية المهنية في مدارسنا، وذلك بفتح الفروع الصناعية والتجارية ... الخ، آخذة بالحسبان الفروق الفردية ومراعاة قدرات الطالب وهواياته. وأؤكد في النهاية أنه من الصعب أن تهيئ المدرسة تلاميذها لجميع المواقف التي يواجهونها في حياتهم، لذلك فإنها تقوم على مساعدتهم وإعدادهم لحياة نامية لتحقيق ذاتهم ورغباتهم بمساعدة المدرسين والمديرين والمرشدين والقائمين على العملية التربوية. وختاماً فإن الشهادة ضرورية لتطوير الفرد مهنياً وللحراك الاجتماعي، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التعلم الرسمي.

اقتراحات

1- إجراء دراسة مماثلة على عينة كبيرة تشمل مدارس الذكور والإناث.

2- تنفيذ دراسة مشابهة لكن من وجهة نظر الطلبة أنفسهم، كونهم محور العملية التربوية.

3- تكثيف الأنشطة المدرسية، وذلك للتنفيس عن مشاكل الطلبة وهمومهم التي تنعكس سلباً على العملية التعليمية، وذلك بهدف الاطلاع على طبيعة العلاقات بينهم، وكيف تتشكل خبراتهم من خلال المدرسة.

4- تخصيص حصص خاصة بين فترة وأخرى لمناقشة الوضع السياسي واهتمامات الطلبة، لأن من طرق مواجهة الضغوطات التحدث عنها مع الآخرين، وبخاصة الأكبر سناً.

5- تخصيص مهرجانات فنية تحث الطلبة على كتابة الشعر، والمقالة، والقصة، وذلك للتعبير عما يجيش في صدورهم.

تغريد باجس عابد/بيرزيت

قائمة المراجع

1- عبد العزيز، صالح، (1961). التربية وطرق التدريس، ج2، دار المعارف، مصر.

2- عبد العزيز، صالح وعبد المجيد عبد العزيز، (1961). التربية وطرق التدريس، ج1، دار المعارف، مصر.

3- وزارة التربية والتعليم، (2001). ظاهرة العنف خلال الانتفاضة وآثارها النفسية والتربوية على الطلبة الفلسطينيين، رام الله.